11047

الزَّيْدِيَّة

نشأتها ومعتقداتها

Türki
İslâm Ar
K
Dem. No:
Tas. No:

تأليف

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع

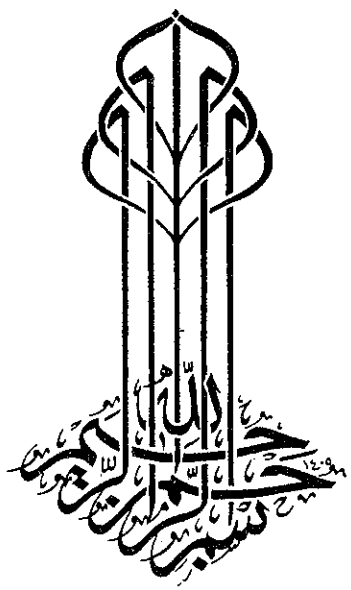

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مقدمة الطبعة الثانية

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

أما بعد، فهذه هي الطبعة الثانية لرسالة (الزيدية نشأتها ومعتقداتها)، اقتضت الحاجة الملحَّة لإعادة طبعها طبعةً موسعةً، وذلك تلبية لتحقيق رغبات مَنْ قرأها من محبِّي العلم وعشاق المعرفة، الذين طلب بعضهم مني الاستزادة من مضمون محتواها؛ بإيضاح ما أجملْتُه، وبسطِ ما اختصرته في طبعتها الأولى، على أن أستكثرَ مِنْ إيراد الأمثلة والشواهد، والحجج والبينات المدعَّمة والموثقة بذكر المصادر والمراجع؛ وذلك للاطمئنان على صحة ما ورد فيها، وللعودة إليها لمن يريد المزيد من المعرفة عن الزيدية، فاستجبت لرغبة هؤلاء الذين أحسنوا الظنَّ بي، شاكرًا لهم ثناءهم على إصدار رسالة (الزيدية)، وداعيًا لهم ولي بالسداد والتوفيق في القول والعمل.

أما الذين لم يُرضِهم ما كتبته عن الزيدية حينما أوضحتُ حقيقتها، وبينتُ موقعها من الفِرَقِ والمذاهب الإسلامية، فقد كنتُ أتمنى منهم أن يدحضوا ما استنكروه منها بحججٍ دامغة، وبيناتٍ واضحة، تنفي صحَّةَ ما أوردتُه عنها، ويعززوا القولَ بالعمل، ليتطابقا معًا، حتى لا يكونوا ممَّن قال الله تعالى فيهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢، ٣] فتكون حجتهم أقوى وأكثر دلالة على صدق دعواهم، أما مجرد الإنكار لذات الإنكار، مع الإصرار على ممارسة الفعل المخالف لأقوالهم مما

ذكرته في الرسالة، فهو ردٌ عليهم، وما على المرتاب والمتشكّك في صحة ما كتبتُه عن زيدية اليمن اليوم إلا أن يحضر مجالس هؤلاء المنتقدين ومحافلهم وجمعتهم وجماعتهم ودروسهم، ليتأكد بنفسه أنَّ ما كتبته عن الزيدية ليس رجمًا بالغيب، وإنما هو الواقع في أجلى مظاهره وأبرز معالمه.

ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

والله ولي التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على محمد وعلى أهل بيته وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

صنعاء في ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ، الموافق ٢/ ١١/ ١٩٩٦م

إسماعيل بن علي الأكوع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

* ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] .

* ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) ﴾ [آل عمران: ٥٣].

* ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

* ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

* ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أما بعد، فقد عني كثيرٌ من المؤرخين والباحثين والدارسين بالكتابة عن الفرق الإسلامية على اختلاف ميولها، وتباين معتقداتها، ولاسيما فرق الشيعة التي ظفرت بالقسط الأوفر من الدراسات المستفيضة حول نشأتها وأهدافها، ومواطن انتشارها؛ وذلك لما أحدثه ظهورها من تصدُّعٍ في بنيان كيان الأمة الإسلامية، وتمزقٍ في وحدتها، فظهر عنها عددٌ كثير من المؤلفات المطوَّلة والمختصرة،

والبحوث العلمية بشتى اللغات المشهورة، ماخلا فرقَة الزيدية بأقسامها المعروفة التي اقتصر الاهتمامُ بها عند أتباعها على كتابة سِيَر[1] بعض أئمتها المشهورين، ووصف أحوالهم وما لهم من كرمات، ومناقب حميدة، والعناية بتخليد ذكرهم ببناء توابيت وقباب ومشاهد على قبورهم؛ لترغيب الناس لزيارتها والتبرك بها.

أما الزيديةُ كفرقةٍ أو مذهب، فإنها لم تنل ـ في حدود معرفتي ـ ما تستحقُه من الاهتمام بالكتابة عنها بما يكفي لمعرفة حقيقتها معرفةً صحيحة؛ إذ إنَّ ما كُتب عنها في الماضي لم يكن إلا استطراداً ضمن الحديث عن فرقتي الشيعة الجعفرية والشيعة الإسماعيلية. على أنه قد نُسب للصاحب[2] ابن عباد

(١) نشر الأستاذ فيلفرد ماديلونغ Wilferd Madelung نصوصاً متفرقة عن أئمة الزيدية في كتاب في سلسلة (نصوص ودراسات) التي يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت تحت عنوان: (أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان)، وقد شمل هذا الكتاب ما يلي: المنتزع من الجزء الأول من كتاب (التاجي في أخبار الدولة الديلمية) لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، وقطعة من كتاب (المصابيح) لأبي العباس الحسيني، وقطعة من (الإفادة في تاريخ الأئمة السادة) للإمام أبي طالب، ونخباً من كتاب (جلاء الأبصار) للحاكم الجُشَمي، أوردها أحمد بن سعد الدين المَسْوَري في كتابه (تحفة الأبرار)، ونسخة كتاب ورد إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري الهَمْداني، وبحثاً منتزعاً من (الرسالة العالمة بالأدلة الحاكمة) للإمام عبدالله بن حمزة، وقطعة من كتاب (الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية) لحُمَيد بن أحمد المحلي، وقطعة منتزعة من الجزء الرابع من (روضة الحجوري). كذلك فقد نشر الدكتور سهيل زكار (سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسّي). ونشر الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي ما هو موجود من (سيرة الإمام عبدالله بن حمزة)، ونشر كذلك هو والدكتور رضوان السيد سيرةَ الأميرين ذي الشرفين محمد بن جعفر بن القاسم بن علي العياني وأخيه القاسم، لمفرح بن أحمد الربعي، من منشورات دار المنتخب العربي.

(٢) وهو القائل:ـ

دخولُ النار في حبِّ الوصيِّ ... وفي تفضيلِ أولاد النبيِّ؟!
أحبُّ إليّ من جنات عدنٍ ... أُخلدُها بتَيْم أو عدي

إنه يفضل دخول النار على الجنة إذا كان فيها ـ أي الجنة ـ أبوبكر وعمر!!! لاحول ولا قوة إلا بالله.

(٣٢٦ـ٣٨٥هـ / ٩٣٨ـ٩٩٥م) كتاب (نُصرة مذاهب الزيدية)، وأنا في شك أن يكون هذا الكتاب هو (كتاب الزيدية) الذي أشار إليه النديم في (فهرسته) في ترجمة الصاحب ابن عباد؛ لأن هذا الكتاب (نصرة مذاهب الزيدية) يدندن في أكثره حول الإمامة، ومن هو المستحق لتقلدها من وجهة نظرة إمامية بحتة، تبعاً لما نسبه صاحبُ هذا الكتاب إلى جعفر الصادق رحمه الله في قوله: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها، فهو كافر» مع أن النديم ذكر أن للصاحب ابن عباد (كتاب الإمامة) ذكر فيه تفضيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتثبيت إمامة مَنْ تقدمه[1].

ولئن لم ينهض أحد من المؤرخين المسلمين غير الصاحب ابن عباد للكتابة عن الزيدية كتابة مستقلة شاملة، لا من أتباعها ولا من غيرهم، فقد اهتم بها الأستاذ رودلف شتروتمان R. Strothmann [2]، فكتب عنها من وجهة نظر تاريخية صرفْة كتاباً بعنوان (الزيدية)، تضمّن فكرة الإمامة والعبادات عندهم، طبع في ليبزج سنة ١٩١٢، كما كتب بحثاً بعنوان (ثقافة الزيديين)، ونشره في صحيفة المعهد الشرقي في ستراسبورج سنة ١٩١٢، وكتب كذلك بحوثاً نشرها في المجلد الأول والثاني من (مجلة الإسلام) تحت عنوان (أدب الزيدية ١٩١٠ـ١١ـ١٩٢٣)، ونشر أيضاً رسائل وأشعار زيد بن علي (١٣ : ١ـ٥٢) ومشكلة الأدب الشخصي لزيد بن علي (١٩٢٣)[3].

(١) ص ١٥٠

(٢) مولده في ٤/٩/١٨٧٧، ووفاته في ١٥/ ٥/ ١٩٦٠م.

(٣) المستشرقون ٢/ ٧٨٨، ومعلومات أخرى من الأستاذ ولفرد ماديلونغ في رسالة جوابية منه إليَّ بتاريخ ١٧/ ١/ ١٩٩٤م، ومعلومات إضافية من السفير الألماني الدكتور فرناردُوم.

كذلك فإن من المتهمين بالزيدية الأستاذ روي متحدة (فارسي الأب أمريكي الأم) الأستاذ بجامعة برنستون، فقد أخبرني أن له فيها بحوثاً منشورة بالعربية والإنجليزية.

هذا وقد تصدَّرت في الآونة الأخيرة الدكتورة العراقية فضيلة عبد الأمير الشامي للكتابة عن الزيدية، فصنفت كتاباً عن زيدية جيلان وديلمان بعنوان: (تاريخ الفرقة الزيدية) بين القرن الثاني والثالث للهجرة نشر سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

أما زيدية اليمن، فقد كتب عنها الأستاذ الدكتور أحمد محمود صبحي مؤلفاً كبيراً حينما كان أستاذاً في جامعة صنعاء بعنوان (الزيدية)، ولقي هذا الكتاب رواجاً في أواسط أتباع المذهب الزيدي الهادوي، وأشاد به مَن أشاد منهم، مستشهداً ببعض ما ورد فيه من ثناء حسن لبعض أفكار الزيدية؛ وذلك لأن الدكتور صبحي أثنى عليها حينما ذكر محاسنها في بداية ظهورها. وظنَّ أن زيدية اليمن التي ابتدأت من أواخر القرن الثالث للهجرة، واستمرت إلى عصرنا، هي امتداد لزيدية القرن الثاني التي ظهرت في الكوفة في عهد مؤسسها زيد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وليس ذلك بشيء، ذلك لأن الصلة بين زيدية اليمن وبين زيدية الكوفة قد انقطعت من القرن الثالث للهجرة الذي ظهرت فيه المذاهب الشيعية، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه قريباً من هذه الرسالة إن شاء الله.

ولا شك أن حكم الدكتور صبحي قائم على أساس ما تسنَّى له الاطلاعُ عليه من المراجع التي تدور حول الزيدية من وجهة نظر أصحابها وأتباعها، وربما لم يتيسر له أن يطلع على ما كتبه المؤرخون المحايدون من يمانين وغير يمانين ممن سيأتي ذكرهُم في غضون هذا البحث. وهذا هو ما ألزمتُ نفسي القيام به إن شاء الله.

وكان المفترض على علماء الزيدية أن ينهدَ بعضهُم لمثل هذا الأمر، فيقوم بذكرها والتعريف بها تعريفاً شاملاً كاملاً، والتنبيه إلى الفوارق بين ماضي الزيدية في الكوفة وبين زيدية اليمن، ومدى علاقتها بمذهب الاثني عشرية، وأين تقف منه؟ فصاحب البيت أدرى بالذي فيه. ولكني لم أر شيئاً من ذلك في حدود معرفتي، وما كتبه القاضي حسين بن أحمد السياغي المتوفى سنة ١٤٠٧هـ في مقدمته لكتاب (بيان ابن مظفر) عند طبعه، ثم أفردها بطبعةٍ مستقلةٍ ليس هو المطلوب. فقد تكلم عن أصول المذهب الزيدي اليمني وقواعده وتدرجه، وذكر طبقاتِه وعصورهَم، ثم أورد نبذةً من القواعد الفقهية التي قررها علماءُ هذا المذهب على أصول الفقه الفروعية التي بنوا عليها الأحكام الشرعية، كما ذكر أيضاً أسماء كتب علماء المذهب الزيدي.

كذلك فإن ما كتبه علي بن عبد الكريم الفَضيِل في بحثه (الزيدية نظرية وتطبيق) بعيد عن المراد المقصود، فقد ذكر فيه مسائل من أصول الدين ومسائل أخرى من أصول الفقه الزيدي، كما تناول مبادىء الفرقة الاثني عشرية، وكذلك مبادىء الفرقة الإسماعلية، قاصداً بذلك أن يلبِس الزيدية ثوباً غير ثوبها الحقيقي.

لذلك فقد تصديت لهذا الأمر مستعيناً بالله وحده، فألَّفت هذه الرسالة المختصرة، ولم أقصد من تأليفها إلاَّ محاولة كشف الالتباس والغموض المحيط بهذا المذهب على أهله وعلى غير أهله، لتوضيح حقيقته، وبيان القول الفصل في أمره، حتى يكون طالبُ العلم في مأمنٍ من الوقوع في الخطأ، فإن حالفني التوفيقُ فيما أردتُ، فذلك فضلٌ من الله ورحمة منه، متحرياً في ذلك